جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم التاريخ
دكتوراه تاريخ حديث

مادة

(دراسات في تاريخ دول أسيا وأفريقيا الحديث والمعاصر)

محاضرة

دراسات في تاريخ جمهورية إنغوشيا الحديث والمعاصر

الاستاذ الدكتور

احمد حسين عبد

٢٠٢٣- ٢٠٢٤

<u>الموقع والتكوين العرقي والديني:</u> تقع إنغوشيتيا في قارة آسيا وهي إحدى جمهوريات منطقة القوقاز (Caucasus) [١]، تقع الجمهورية بين البحر الأسود وبحر قزوين، في الجزء الشمالي الشرقي من المنطقة، وتحدها جورجيا من الجنوب، والشيشان من الشرق، وأوسيتيا الشمالية من الشمال الغربي ، شكلت هذه الجمهورية ،جمهورية واحدة مع الشيشان حتى نهاية عام ١٩٩٢ عندما قررت حكومة موسكو فصل إقليم إنغوشيتيا عن الشيشان[٢].

يؤكد الموقع على أن الجمهورية تتمتع بموقع جغرافي مهم، وتقع في منطقة القوقاز وهي منطقة الوصل بين آسيا والقارة الأوروبية والحد الفاصل بينهما ، وتمتلك هذه المنطقة طرق التجارة الرئيسية بين القارتين، ويمر في وسطها ممر دريال أحد روافد النهر الترك، الذي تدخل من خلاله جميع الشعوب المتوجهة إلى أوروبا عبر القوقاز [٣].

غالبا ما تعتبر منطقة القوقاز من أكثر مناطق العالم تعقيدا عرقيا ولغويا، إذ تضم أكثر من ٤٠ مجموعة عرقية، وأكثر من ٣٠ لغة، وأكثر من ديانة ، وان أحد أسباب هذا الهيكل المعقد هو أن المنطقة كانت تاريخياً ممراً رئيسياً للتجارة والتبادل الحضاري بين أوروبا وآسيا، وبالإضافة إلى التغيرات في التركيبة السكانية التي أحدثها الروس بعد احتلالهم للمنطقة، فإذا وصلنا إلى جمهورية إنغوشيتيا سنجد أن المجموعة العرقية الإنغوشية هي المهيمنة، بينما تتواجد بعض المجموعات العرقية الأخرى أيضاً بشكل محدود ، ويشكل العرق الإنغوشي الذي ينتمي إلى العرق الأيبيري القوقازي أغلبية السكان، ثم هناك عدد قليل من الروس الذين ينتمون إلى العرق السلافي الذين قدموا إلى المنطقة بعد احتلال الروس لها ، بحيث زادت أعدادهم بعد الحرب العالمية الثانية عندما تم تهجير الإنغوش قسراً بموجب الخطط الروسية لتغيير التركيبة السكانية في المنطقة ، يلتقي الإنغوش والشيشان في أصل واحد[٤]، وتحدث عن أصل شعب الإنغوش الباحثين خريستيانوفيتش ف وغينكو أ.، فيقول خريستانوفيتش " **جاؤوا الإنغوش إلى منطقة شمال القوقاز من ما وراء الجبال، من الجنوب، بعكس الأوسيت والبلقار والكاراتشاي والقبرطاي، الذين أتوا إلى هنا من ما وراء السهوب**" ، أما غينكو أ قال ذلك من خلال تحليله الديني ووجود معابد قديمة مختلفة معبد الإله توشولا، بأن "**القاعدة الرئيسة لحياة الإنغوش والشيشان القومية**" هي منطقة توشيتيا الحالية، وتقع المنطقة في شمال جمهورية جورجيا وتحدها إنغوشيتيا من الجنوب [٥]

، والباحث كروبنوف إ. نجح في التقريب بين الإنغوش والجورجيين على أساس اللغة (لاحظ أن أقرب لغة إلى الإنغوش هي اللغة الشيشانية) [٦].

بشكل عام الشعب الإنغوشي أمة مسلمة، حيث تصل نسبة المسلمين إلى ٩٠٪. وتشير بعض الوثائق القديمة التي تتحدث عن جمهورية الشيشان–إنغوشيتيا (قبل انقسام إنغوشيتيا) إلى أن نسبة المسلمين تراوحت بين الثلثين إلى ثلاثة أرباع مجموع السكان، ففي كتاب **(البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر)**،تصل نسبتهم إلى ٧٤٪ من السكان[٧] ، بينما يشير **سيد بكر في الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي،** إلى أن نسبة المسلمين عام ١٩٩١م ٦٦% ، ونسبة الروس ٣٠٪ من السكان [٨] .

<u>جذور الصراع مع روسيا ومسيرة الاستقلال:</u> بدأ الروس صراعهم مع الشيشان – الإنغوشيين عندما استولوا على القوقاز في عهد الإمبراطورية العثمانية التي وسعت قوتها لتشمل الشيشان–إنغوشيتيا وفتحت القسطنطينية، في عام ١٤٨٠ م أعلن **القيصر الروسي إيفان الثالث** الحرب على سلطان إمارة قازان الإسلامية، التي تقع على نهر الفولجا والتي طالما مثلت عقبة كأداء أمام التوسع الروسي جنوباً، لكن مع سقوط هذه الإمارة عام ١٥٥٢م أصبح الطريق أمامهم سهلاً للاستيلاء على بعض الأراضي التركية للوصول إلى بحر قزوين ثم إلى القوقاز وبعد فترة وجيزة، بدأ الروس بالتقدم عبر ضفاف نهر الترك باتجاه القوقاز[٩] ، وفي عهد **الإمبراطورة كاثرين الثانية،** شنت موسكو هجومًا في القوقاز وخاضت حروبًا مع الإمبراطورية العثمانية من عام ١٧٦٨ إلى ١٧٧٤ م، مما عزز نفوذ روسيا في منطقة القوقاز بما في ذلك إنغوشيتيا ، وفي الفترة من ١٨٢٠ إلى ١٨٣٠م في عهد **القيصر نيقولا الأول،** قام بحملات متواصلة طالت مناطق جنوب القوقاز مثل داغستان وأجزاء من أرمينيا[١٠] ، ورغم أن الجيش الروسي كان كبيرا عدديا ومجهزا جيدا، إلا أن الشعب المسلم في القوقاز لم يستسلم للروس، بل انتفض وقاوم بكل ما أوتي من قوة، وقد ساعدهم في ذلك علماء غذوا روحهم الجهادية وقادوهم ضد الروس، وفي مقدمة هؤلاء الإمامان، **الإمام منصور، ثم الإمام شامل،** وكلاهما من مشايخ **الطريقة الصوفية النقشبندية،** وواصل

الإمام المنصور جهاده ضد الروس حتى حاصرته القوات الروسية في قلعة أنابا على ساحل البحر الأسود، حيث أصيب وأسر من قبل الروس، وسجن في قلعة شليسبورغ الى ان قتل عام ١٧٩٤[١١]، مع سقوط أنابا والقبض على الإمام المنصور، توقف الجهاد في شمال القوقاز لفترة من الوقت. ثم عاد الجهاد مرة أخرى على أيدي ثلة من العلماء منهم **محمد الغمري المعروف باسم غازي مولا**، وهو من قرية غمري في داغستان وينتمي للطريقة النقشبندية، وقد أسهم مع غيره في **تأسيس الحركة المريدية**، والتي حملت لواء الجهاد ضد الاحتلال الروسي ، بدأ جهاد غازي مولا عام ١٨٢٩م عندما دعا الداغستانيين إلى الجهاد ومهاجمة الروس في مواقع متعددة وحقق العديد من الانتصارات ، وفي عام ١٨٣٢م ظهر الإمام غازي في الشيشان وحقق العديد من الانتصارات، مما جعل السلطات الروسية تستعد لشن عملية عسكرية واسعة النطاق للقضاء عليه وعلى حركته ، فحاصروا مركزه قرية غمري ودمروها وقتلوا الإمام وأتباعه إلا مجموعة قليلة منهم كان من ضمنهم **الإمام شامل** الذي اتبع فيما بعد مثالا للجهاد[١٢].

وفي عام ١٨٣٥م أقسم أتباع الحركة البيعة للإمام شامل كإمام لهم وجعل مدينة أخولكو في داغستان عاصمتها ومركزها وكان أحد العوامل وراء اختيارها هو الحماية الطبيعية التي كانت تتمتع بها، وبعدها بدأ شامل بتنظيم **الحركة المريدية الجهادية** عسكرياً وفق تسلسلات هرمية تنظيمية ، ويمكن تسمية هذا الإمام بأسد القوقاز وصقر الجبال، الذي حاربا روسيا القيصرية وحققا انتصارات كبرى[١٣] .

وعندما علم الروس بتحركات شامل شنوا عملية عسكرية من أجل احتلال منطقة شامل في داغستان، قرروا الاستيلاء على آخولكو مركز شامل، ونجحوا في ذلك فحاصروا البلدة وقصفوها وقتلوا العديد من سكانها، ثم في عام ١٨٣٩م تم الاستيلاء عليها ، وكان الروس حريصين على القضاء على شامل بأنفسهم، لكنه هرب مع عدد قليل من أتباعه [١٤].

مع اندلاع الثورة البلشفية (الشيوعية) في روسيا عام ١٩١٧م، تأثر المسلمون في إنغوشيتيا وغيرها من بلدان القوقاز بدعاية قادة الثورة الشيوعية، الذين حرصوا في بداية الثورة على كسب تعاطف الأقليات في روسيا على المستوى الوطني ،ولذلك وجدنا أنهم حرصوا على كسب تعاطف المسلمين منذ البداية وأصدروا بعض التصريحات حول الدفاع عن حقوق المسلمين ، وعقب نشر إعلان حقوق الشعب الروسي في ٢٤ تشرين الثاني ١٩١٧م، وقع **لينين وستالين** على نداء خاص لجميع العمال المسلمين في روسيا جاء فيه : **"يا مسلمي روسيا من تتر الفولغا والقرم، وقرغيز وسيبيريا وتركستان، وترك وتتر ماوراء القفقاس وتشيتشن وجبلي القفقاس الذين هدم قياصرة روسيا المستبدون مساجدهم وبيوت عباداتهم والذين أهينت معتقداتهم وعاداتهم، اعلموا أن معتقداتكم ومعاهدكم القومية والثقافية ستكون بعد الآن حرة محترمة إلى أن يقول النداء : واعلموا بأن الثورة كلها وبكامل منظماتها. تحمي حقوقكم كما تحمي حقوق كل شعوب روسيا"**[١٧].

تم إطلاق التصريحات في بداية الثورة لكسب المسلمين إلى جانبهم، ولا ينتهجون سياسة أخرى حتى يتم تسوية الأمر ، وأمر لينين بمسيرة إلى بلاد المسلمين بما فيها القوقاز، بينما أعلن الشيوعيون سياستهم العلنية عام ١٩٢٠م بإنكار الدين ومحاربته[١٨] .

ومن أخطر وأفظع الجرائم التي ارتكبتها الشيوعية في الشيشان ، الحكم الذي أصدرته الحكومة الشيوعية في روسيا في ٣١ كانون الثاني ١٩٤٤م بنفي جميع الإنجوش والشيشان إلى خارج بلادهم، خاصة إلى كازاخستان وسيبيريا ، وبقي هذا القرار سرا عن شعب البلدين وأوكلت مهمة الترحيل إلى الجيش، وفي ٢٣ شباط ١٩٤٤م بدأت عملية الترحيل الوحشية ، حيث دعي الناس للمشاركة في الاحتفال بمناسبة الذكرى السادسة والعشرين للثورة ، وأثناء تجمع الناس في ساحة الاحتفال قرأه القادة العسكريون عليهم القرار المفاجئ الذي جاء بمثابة صاعقة على السكان، وقام الروس الذين استقدموا قبل ذلك اليوم قوات كثيرة بالعتاد، بمحاصرة الأهالي واقتيادهم في عربات لنقلهم إلى قطارات تحمل البضائع والحيوانات ونقلهم إلى مناطق المنفى، كان الروس وحشيين للغاية في معاملتهم للسكان، حيث هددوا بقتل أي شخص يعترض لهم، وقاموا بالفعل بقتل بعض السكان حتى أن بعض العائلات انقسمت إلى أكثر من عربة ونفت في أكثر من عربة، حتى أن بعض الأمهات فقدن أطفالهن ولم يعرفن مصيرهم[١٩].

كانت الأسباب الرئيسية للنفي هي رغبة ستالين في الاستيلاء على منطقتي قارص وأردخان وخوفه من أن يتحد الشعب المسلم في القوقاز مرة أخرى لدعم المسلمين في تركيا، فضلاً عن حركة المقاومة المستمرة لشعب إنغوشيتيا[٢٠].

وفي عام ١٩١٩م، تم إنشاء جمهورية الجبلين المستقلة داخليًا، تضم الإنغوش والمجموعات العرقية المجاورة مثل الشيشان والشركس، لكن الجمهورية لم تنجح لأسباب عديدة، من بينها عدم وجود لغة مشتركة[٢١] ، وفي

عام ١٩٢٢، أعلنت السلطات الروسية إنشاء جمهورية الشيشان المتمتعة بالحكم الذاتي ، وفي عام ١٩٣٤م، اندمجت جمهوريتي الشيشان وإنغوشيتيا في جمهورية واحدة وحصلتا على الحكم الذاتي في عام ١٩٣٦م[٢٢]،وبعد قرار النفي في عام ١٩٤٤م ألغيت هذه الجمهورية الشيشان – إنغوشيتيا ، ثم عام ١٩٥٧م بعد صدور القرار بالسماح للأهالي بالعودة من المنفى [٢٣] .

وفي الفترة من ١٩٥٧م إلى ١٩٨٠م، لم تقع أحداث كبرى، ولكن كانت هناك حملة دعائية تدعو إلى الانضمام لموسكو بشكل انتقائي تمامًا ولكنها قوبلت بمعارضة قوية من السكان ، وفي مرحلة التجديد (البيروسترويكا) في عهد جورباتشوف ، ظهرت جبهة قومية في البلاد، تهدف إلى تحرير إنغوشيتيا– الشيشان تحت راية الشيشان القومية، ولكن لم يكتب لها النجاح[٢٤].

الصراع ما بعد سقوط الإتحاد السوفيتي والانتقال إلى الاستقلال: مع انهيار الاتحاد السوفييتي وسقوط الشيوعية

عام ١٩٩٠م، شهدت الجمهورية تغيرات جذرية وأحداثاً مؤثرة، اذ اعلنت بعض جمهوريات الاتحاد الاستقلال ،

وكان من بين هذه الجمهوريات جمهورية الشيشان الأنغوشية التي عقدت مؤتمراً شعبياً وطنياً في الفترة من ٢٣

إلى ٢٥ أيلول ١٩٩٠، أصدر في نهايته المشاركون إعلان الاستقلال عن جمهوريات الاتحاد السوفييتي، وعلى

اثرها اجريت في ٢٧ تشرين الاول ١٩٩١م انتخابات برلمانية لانتخاب رئيس للجمهورية ، وتم اختيار **جوهر**

دوداييف (جوهر بن داود) بنسبة ٨٥% من الأصوات رئيساً للشيشان – انغوشيتيا[٢٥].

وفي ١ تشيرين الاول ١٩٩١م، أعلن الرئيس المنتخب استقلال الشيشان وأنغوشييتا، وفي اليوم التالي ٢ تشيرين الاول ١٩٩١م وافق البرلمان الجديد على قرار الاستقلال[٢٦] ، لكن موسكو لم تقبل أو تعترف بهذا الاستقلال، رغم التوافق عليه وحضور مراقبين من بعض الدول خلال الانتخابات التي انتخب فيها **دوداييف** رئيسا للبلاد ، وفي الثامن تشرين الأول ١٩٩١، أعلنت الحكومة الروسية حالة الطوارئ ونشرت قواتها في الشيشان– إنغوشيتيا ونجح الشعب في القبض عليهم واسرهم ، وبعد المفاوضات قاموا بترحيلهم إلى موسكو مما اضطر الروس على رفع حالة الطوارئ [٢٧]. وفي عام ١٩٩٢ انفصل إقليم إنغوشيتيا عن الشيشان وأصبح جزءًا من الاتحاد الروسي، ثم أعلن لاحقًا استقلاله عن روسيا وتأسيس جمهورية إنغوشيتيا [٢٨]

المصادر

١. القوقاز : كلمة سنسكريتية الاصل تعني الجبال البيضاء او الجبال الثلجية ، تمثل القوقاز حلقة الوصل بين قارة اسيا واوروبا ، وهي برزخ عريض من الارض الجبلية تقع بين البحر الاسود غرب وبحر قزوين شرقا ، تبلغ مساحتها ٤٤٠,٤٠٠ كم٢، وتعد من أكثر مناطق العالم من حيث التباين العرقي والتنوع الثقافي اللغوي والديني فقد تعرضت خلال تاريخها الطويل لغزوات كثيرة ، وللمزيد ينظر : ياسر محمد عليوي، القوقاز جذور الامة وانعكاساتها الاقليمية ، مجلة الجامعة العراقية ، العدد ٣٠ ، الجزء الاول ، بغداد ، ٢٠١٣ ، ص ٣٠٣ – ٣٠٦.
٢. محمد السيد يونس ، المسلمون في جمهورية الشاشان وجهادهم في مقاومة الغزو الروسي، رابطة العالم الإسلامي، سلسلة دعوة الحق، عدد ١٥٤ ، مكة المكرمة ، ص ٣٦.
٣. نقلا عن : غينكو أ. ، من الثقافة الإنجوشية الماضية، مخطوطات المستشرقين في المتحف الآسيوي التابع لأكاديمية العلوم السوفييتية، لينينغراد ، ١٩٣٠، ص ٣٩ .
٤. كروبنوف إ . ، تاريخ الإنجوش – أخبار التاريخ القديم ، موسكو ، ١٩٣٩.
٥. محمد غلاب وزميلاه ، البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر ، جامعة الامام محمد بن سعود، الرياض ، ١٣٩٨هـ ، ص ٧٤٧ .
٦. سيد عبد المجيد بكر، الأقليات المسلمة في آسيا واستراليا ، دار الاصفهاني للطباعة والنشر، مج ١٤ ، قسم ١، جدة ، ١٣٩٣ هـ ، ص ٣٠٧ – ٣٢٢ .
٧. مصطفى كسبه ، الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين، مجلة الازهر ، القاهرة ، ذو القعدة ١٤١٥ هـ ، ص ١٦.
٨. شعبان عبدالرحمن ، محنة الشيشان، دار الوفاء ، مصر ، ١٤٣١ هـ ، ص ٧٢ – ٧٣ .
٩. جمال فضل الحوشي، الشيشان – صقور الجبال البيضاء، دار الاندلس الخضراء ، جدة ، ١٤١٧ هـ ، ص ٤٢ – ٤٣ .
١٠. أحمد الشيشاني ، حرب القوقاز الأولى ، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ، ١٤١٥هـ ، ص ٨٧ – ٩٠ .
١١. جون بادلي ، احتلال الروس للقفقاس، ترجمة : صادق ابراهيم عودة ، مطبعة طه مراد ، الاردن ، ص ٤٨٧ – ٤٩٢.
١٢. شانتال كمربيه كلكجي ، المسلمون في الاتحاد السوفيتي، تعريب: إحسان حقي ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٩٧٧م ، ص ١٣٨.
١٣. عبد الحميد جعفر داغستاني ، المبين في بعض أحوال الاسلام والمسلمين في الاتحاد السوفيتي، مكة المكرمة ، ١٩٩٣ ، ص١٧ .
١٤. محمد حرب، معلومات أساسية لفهم المسألة الشيشانية، مجلة الازهر ، القاهرة ، ١٩٩٤، ص ١٠٨٠ .
١٥. مراد بطل الشيشاني ، الحركة الإسلامية في الشيشان والصراع الشيشاني – الروسي ١٩٩١ – ٢٠٠٠ ، مركز القدس للدراسات السياسية، عمان ، ٢٠٠٢م، ص ٧٠.
١٦. ايمان السليمان ، عزة الاسلام في جهاد الشيشان – الالام وبشائر الفتح المبين ، الرياض ، ١٤٢١ هـ ، ص ٢٤.
١٧. عرفات كرم سنوني ، الاسلام السياسي في الشيشان ، مقال منشور على موقع كولان – اليوم والغد ، تاريخ النشر ١١– ٧ – ٢٠١٩ على الرابط www.gulanmedia.com تمت الزيارة ١٧ – ١٠ – ٢٠٢٣ ١١ : ١٢ م